المجلد: (14) العدد: (03) السنة: 2022 صفحات المقال: 46 – 62 ISSN :9577 - 1112 EISSN : 2602 -5388

قراءة طباقية بين رواية "الغريب" لألبير كامو ورواية "نجمة" لكاتب ياسين

A contrapuntal Reading between "The Stranger" by Albert Camus and Nedjma by Kateb Yacine

عائشة هديم
جامعة بومرداس، (الجزائر)
Hadim_aicha@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2022/01/23 تاريخ القبول: 2022/04/27 تاريخ النشر: 2022/10/01

الملخص:

يهدف هذا البحث لطرح إشكالية العلاقات بين الآداب في سياق ثقافي يعيد بناء الكتابة الأدبية في نطاق العلاقات الاستعمارية، ويستنطق الخلفيات الإيديولوجية التي تحرك الكتابة . اختار البحث رواية: " الغريب " ل : " ألبير كامو" ، حيث يتجسد بقوة تواشج الشكل الفني مع المضمون الإيديولوجي لتجريد الجزائري من وجوده، وقابلناها برواية : "نجمة" ل " كاتب ياسين " الذي يرد على " ألبير كامو " بتعزيز وجود الجزائري ، معتمدين مفهوم " القراءة الطباقية " ل"إدوارد سعيد" .

الكلمات المفتاحية:

العلاقات الاستعمارية، الخلفيات الإيديولوجية، القراءة الطباقية، "الغريب"، نجمة.

Abstract:

This research tackles a problem evoked in the field of cultural studies, namely: the relations between literature in a cultural context which reconstructs literary writing.

Adopting the concept of contrapuntal counter point by Edward Said, I deals with the novel of Albert Camus entitled The Stranger, which embodies strongly the connection of the artistic form with the ideological content to strip the Algerian people of his existential dimensions. Then, it compares it with Nedjma by Kateb Yacine who replies by consolidating the existence of the Algerian people.

Keywords:

colonial relations, Ideological backgrounds, Contrapuntal Reading , The Stranger, Nedjma.

المجلد: (14) العدد: (03) السنة: 2022 صفحات المقال: 46 – 62 ISSN :9577 - 1112 EISSN : 2602 -5388

1. المقدمة :

يطرح هذا المقال أسئلة العلاقات الثقافية < الأدبية > المنخرطة بقوة في العلاقات الاستعمارية من خلال نصّين روائيين يدعمان بكل أريحية وروح كونية وعبثية الموقف الامبريالي (كامو)، وبكل تمرد وانبثاقية الموقف الضديد المعارض، متوسِّلة مفهوم: << **القراءة الطباقية** >> لـــ: "**ادوارد سعيد**".

هذا المفهوم الثوري بحق في الدراسات الثقافية عامة ، والدراسات ما بعد الكولونيالية خاصة، يهدف إلى دراسة الأعمال الأدبية في سياق يتجاوز آدابها وثقافاتها الأصلية ، إلى الآداب والثقافات التي تتواشج معها في علاقة ثقافية تاريخية ضِدِّية مثلما هو الشأن في النصوص الروائية الفرنسية التي تقيم علاقة ضِدِّية مع النصوص الجزائرية ، لأنها تندرج ضمن سياق العلاقات الاستعمارية التاريخية بين الأدبين ، بل والثقافتين الفرنسية والجزائرية حيث تردُّ الكتابة الروائية الجزائرية على الأنساق الإيديولوجية المكرَّسة في السرد الكولونيالي الفرنسي كما هو الشأن في رواية : " نجمة " ل " كاتب ياسين " التي تردُّ على " الغريب " ل " ألبير كامو " .

قبل الخوض في هذا المفهوم، و موضعته ضمن النسق المفاهيمي العام لنظرية "ادوارد سعيد" أطرح مسوغات اختيار "كامو" الروائي الفرنسي العالمي من جهة، و"كاتب ياسين" الكاتب الجزائري.

2. المدونة ومسوغات الاختيار:

1.2 لماذا كامو؟ :

لعل من أهم معايير اختيار مدونة قُدْرَتُهَا على تمثيل الظاهرة المُعَالَجَة (موضوعا وزمنا).

إنّ معالجة عمل "كامو" يجعلنا نقترب أكثر من سياق العلاقات الاستعمارية المضطربة، لأنه – كما وصفه – "ادوارد سعيد" **شخصية امبريالية** متأخرة جدا، فقد بقي بعد أوج الإمبراطورية ومازال باقيا (للفظي بقي/ و باقيا أهمية خاصة لأنهما يؤكدان توصيف الشخصية الامبريالية، فكأن "كامو" تحوّل إلى شخصية نمطية تنخرط في الزمن الاستعماري

المجلد: (14) العدد: (03) السنة: 2022 صفحات المقال: 46 – 62 ISSN :9577 - 1112 EISSN : 2602 -5388

بل وتتجاوزه) كاتبا "**كوني النزوع**" لكن **تضرب جذوره في عملية استعمارية صارت الآن نسيا منسيا**[1].

إنّ "ادوارد سعيد" في وصفه لكامو يشدّد على سمة المفارقة (التي دأب على كشفها في أعماله وأعمال الروائيين البريطانيين والفرنسيين)، بين النزوع الكوني والإنساني ، و الروح الامبريالية السارية في أعماله.

لنتتبع المفارقتين الأساسيتين في أعماله:

1/– إنّ "كامو" هو المؤلف الوحيد من الجزائر الفرنسية الذي يمكن أن يعتبر بتسويغ تام مؤلفا ذا مقام عالمي، ولكن **أسقطت من أعماله حقائق الواقع الامبريالي** الماثلة في أعماله مثولا واضحا[2].

2/– يصف "ادوارد سعيد" روحية "كامو" [القابلة للفصل] بالكونية والإنسانية، و لكن هذه **الروحية تتنافر** بقوة مع **أوصاف الأمكنة** التي يقدمها "كامو" بشكل **عار**[3].

2.2 لماذا كاتب ياسين:

لأنّ كاتب ياسين يعيد بعث الجزائر الحقيقية لا المشهدية، و يعارض "كامو" بأسلوب سردي عبثي ثوري.

3. القراءة الطباقية:

يعود أصل مصطلح "**الطباق**" إلى علم الموسيقى، (باعتبار أنّ "ادوارد سعيد" موسيقي ممتاز، وله كتاب في الموسيقى بعنوان: "**Musical Elaborations**") ، **والطباق في الموسيقى** هو: الاستعمال المتزامن للحنين "ميلودي" أو أكثر لإنتاج المعنى الموسيقي، بما يسمح بالقول عن أحد الألحان أنه النقطة المضادة لـــــ، أو في حالة تضاد مع لحن آخر، و هكذا فإنّ التضاد المزدوج هو أن يكون لحنان أحدهما فوق الآخر قابلين لتبادل موقعيهما"[4].

و قد بدّل "كمال أبو ديب"[5] كلمة تضاد بـــ "**طباق**" و أضاف كلمة قراءة، فكان المصطلح الكامل:" **قراءة طباقية**" ترجمة للمصطلح الإنجليزي: "**contrapuntal counter point**".

وفهم هذا المصطلح نورد فيما يلي سياقين شرح فيهما "ادوارد سعيد" امتداده وإجرائيته في قراءة الرواية .

المجلد: (14) العدد: (03) السنة: 2022 صفحات المقال: 46 – 62 ISSN :9577 - 1112 EISSN : 2602 -5388

السياق 01:

يقول "ادوارد سعيد": "حين نعود بالنظر إلى سجل المحفوظات الامبريالي، نأخذ بقراءته لا واحديا، بل طباقيا، بوعي متآين للتاريخ الحواضري الذي يتم سرده، و لتلك التواريخ الأخرى التي يعمل ضدها (ومعها < أيضا >) الإنشاء المسيطر" [6].

ينزّل "ادوارد سعيد" القراءة الطباقية – من نقطة البداية– ضمن القراءة التاريخية المستوعبة لطرفين يعملان معا ويشرح أحدهما الآخر: الإنشاء المسرود والإنشاء السارد المسيطر الامبريالي.

السياق 02:

يقول " ادوارد سعيد" :" في "النقطة الطباقية للموسيقى العريقة <الكلاسيكية> الغربية تتبارى و تتصادم موضوعات متنوعة إحداهما مع الأخرى، دون أن يكون لأي منهما دور امتيازي إلاَّ بصورة مشروطة مؤقتة، ومع ذلك يكون في التعدُّد النغمي الناتج تلاؤم ونظام، تفاعل منظم يشتق من الموضوعات <ذاتها>لا من مبدأ لحن <ميلودي> صارم أو شكلي يقع خارج العمل"[7].

لقد سحب "ادوارد سعيد" هذا التصور على قراءة الرواية من مجال آخر تماما هو مجال الموسيقى ، الذي يؤصل لهذا الفهم تأصيلا طريفا، حيث **يقوم الطباق الموسيقي على فكرة المباراة و التصادم بين الألحان**، والتفاعل بينها في شكل منظم، بحيث تستبعد تماما فكرة المبدأ اللحني الواحد الصارم ، مستشهدا بالرواية الإنجليزية التي تتعالق مباشرة مع الهند ، والتي ينبغي أن تقرأ من خلال السرد الاستعماري و السرد المقاوِم له.

يقول ادوارد سعيد: "و في اعتقادي أننا نستطيع، بالطريقة ذاتها أن نقرأ ونؤول الروايات الإنجليزية، مثلا، التي يتشكل تعالقها (المقموع عادة إلى درجة غالبة) مع، لنقل، جزر الهند الغربية أو الهند، بل لعله يتحتَّم، ويتقرر بالتاريخ المُحدَّد للاستعمار والمقاومة، و أخيرا القومية الأصلانية، عندئذ تنبثق سرديات بديلة أو جديدة، و تصبح ذواتا ممأسة أو مستقرة إنشائيا"[8].

المجلد: (14) العدد: (03) السنة: 2022 صفحات المقال: 46 – 62 ISSN :9577 - 1112 EISSN : 2602 -5388

4. القراءة الطباقية ونسقها المفاهيمي:

يطرح "ادوارد سعيد" مفهوم "القراءة الطباقية" ضمن نسق مفاهيمي عميق يؤسس للعلاقات بين: الثقافة و الامبريالية من خلال نقطتين رئيستين:

4-1/ ثقافة الامبريالية و تاريخها ، و تشابكها مع ثقافة المقاومة و تاريخها.

4-2/ السرد (الروائي خاصة) و فعاليته في الإنشاءات الامبريالية و المقاومة.

1.4 ثقافة الامبريالية و تاريخها و تشابكها مع ثقافة المقاومة و تاريخها:

لقد أكَّد "ادوارد سعيد" في كل كتاباته وبخاصة في كتابه: "الثقافة والامبريالية" قيام الإمبراطورية على الفنون، فالإمبراطورية تتبع الفن لا العكس. يقول في هذه الفكرة- ناقلا عن "وليم بليك"-: " إنَّ أساس الإمبراطورية هو الفنون والعلوم أَزلْهُمَا أو حُطَّ من قدرهما تختف الإمبراطورية. إنَّ الإمبراطورية لَتَتْبَعُ الفن لا العكس[9].

بل إنَّ "ادوارد سعيد" يذهب أبعد من هذا حين يعتبر أنَّ السيطرة بالثقافة تسبق السيطرة الامبريالية[10]. فعصر الامبراطورية -عنده – يبدأ قبل التزاحم الفعلي على إفريقيا، بمرحلة بروز الشكل الروائي والسردية التاريخية الجديدة[11]، ثمَّ إنَّ الثقافة عامة والأدب بصفة خاصة منخرط انخراطا مباشرا في التوسع.

إنَّ "ادوارد سعيد" يرفض مبدأ استقلالية الأعمال الأدبية، فهي في نظره منخرطة في التوسع الأوروبي. و يعتبر أنَّ المشكلة في كثير من النقد الأدبي في الآونة الأخيرة هي هدر جهد كبير بلا ضرورة للتعريف **بما هو أدبي بحث** في حين أنَّ الممتع في كل شيء هو درجة امتزاجه بالأشياء الأخرى[12]، فلا وجود للأدبي الخالص عند " ادوارد سعيد "، إنه ممتزج دوما بالسياسي .

إنَّ الأدب – كما ينقل " ادوارد سعيد " عن "ريموند ويليامز"- يخلق بنى من المشاعر تَدْعَم، و تُعزِّز وتُحْكِم وتُرْهِفُ ممارسة الإمبراطورية[13]،

فالاندغام[14] بين الرواية والثقافة اندغام كلي، والرواية "من حيث هي مصنع ثقافي من مصنعات المجتمع الطبقوسطي و الامبريالية ، غير قابلين للخطور بالبال منفصلين إحداهما عن الأخرى"[15].

المجلد: (14) العدد: (03) السنة: 2022 صفحات المقال: 46 – 62 ISSN :9577 - 1112 EISSN : 2602 -5388

فالرواية بذلك منتجة للامبرالية . بل إنّ "ادوارد سعيد" يذهب إلى أقصى نقاط الاندغام ، حين يعتبر أنّ الرواية الأوروبية لم تكن لتوجد في غياب الإمبراطورية. يقول: "و سأذهب إلى حد القول **إنّ الرواية الأوروبية كما نعرفها اليوم ما كانت ستوجد في غياب الإمبراطورية**"[16].

2.4 التواريخ المتشابكة للامبريالية و المقاومة:

هذا التشابك بين الثقافة عموما، والأدب خصوصا، والرواية بصفة أخص من جهة والامبريالية من جهة أخرى، يستدعي تشابكا آخر بين التواريخ الامبريالية والتواريخ المعارِضة أو المقاوِمة لها. بحيث لا يمكن إجراء أي قراءة تأويلية لأي نص أدبي، ولأي ثقافة بمعزل عن الثقافة المناوِئة لها.

يقول "ادوارد سعيد" في مقطع جريء: "....هيهات **أن تكون الثقافات وحدانية موحدة أو مستقلة ذاتيا**، بل إنها بحق لتكتسب عناصر أجنبية، وآخريات، و فروقا تفوق ما تقوم واعية بإقصائه. من يستطيع في الهند أو الجزائر اليوم أن يعزل بثقة المكوِّن البريطاني أو الفرنسي للماضي عن الوقائع الراهنة؟ و من في بريطانيا أو فرنسا يستطيع أن يرسم دائرة واضحة حول لندن البريطانية أو باريس الفرنسية ، بوسعهما أن تقصي وقع الهند أو الجزائر وتأثيرهما على هاتين المدينتين الإمبراطوريتين؟"[17].

إنّ ادوارد سعيد يدعو إلى فكرة جوهرية و هي فكرة التواريخ المتداخلة المتواشجة (تاريخ الامبريالية من جهة وتاريخ المقاومة من جهة أخرى).

و تعود هذه الفكرة إلى تصور "ادوارد سعيد" للتاريخ، فالتاريخ عنده:

1/ يتألف من دوائر متداخلة، بحيث يتم النظر إلى المجتمع على أنه أرضية لعدد من التحركات.

2/ إنّ النظر إلى التاريخ باعتباره دوائر متداخلة متنازع عليها يثير اهتمام "ادوارد سعيد" أكثر من النظرة الزمنية المعتمدة على الأصل و المنشأ.

3/ إنّ فهم ادوارد سعيد للتاريخ أقرب إلى فهم "غرامشي" ، فهو جغرافي ذو علاقة بالأرض بشكل أساسي[18].

المجلد: (14) العدد: (03) السنة: 2022 صفحات المقال: 46 – 62 ISSN :9577 - 1112 EISSN : 2602 -5388

يقول في هذه الفكرة: "... و من غير المجدي أن يمضي المرء في التهويم حول تراث الامبريالية. و من جهة أخرى، فإنَّ الإنحاء باللائمة على الأوروبيين بسبب نوائب الحاضر ليس بديلا شافيا. إنَّ ما نحتاج أن نفعله هو النظر إلى هذه الأمور كشبكة من التواريخ المتداخلة، من التعسف و اللاجدوى كَبْتُهَا، و من المُجْدِي و التناسق فهمها"[19].

3.4 السرد الروائي و فعاليته في الإنشاءات الامبريالية و المقاومة:

وإذ اعتبر "ادوارد سعيد" الثقافة عموما والرواية خصوصا شكلا منخرطا مباشرة في الإنشاء الامبريالي، والإنشاء المقاوم، أسس لفعالية السرد في الإنشائين بتقص واسع وعميق للروايات الانجليزية و الفرنسية بوجه أخص باعتبارهما الاستعمارات الأكثر توسعا في العالم كله.

على أن "ادوارد سعيد" يسجل في كتابه الشهير: "الاستشراق" فرقا كبيرا بين الانشباك الفرنسي– البريطاني في الشرق، و انشباك أي دولة أوروبية و أطلسية أخرى حتى مرحلة الهيمنة الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية ، و من ثمَّ فإنَّ من يتحدث عن **الاستشراق، يتحدث بصفة رئيسية عن مشروع ثقافي بريطاني فرنسي**[20].

فمن الروايات الإنجليزية التي حازت اهتماما ملحوظا لديه رواية "كيم" لكلينغ التي يقترح أن نقرأها قراءة طباقية، لمعارضة ما طرحه كلينغ عن الهند ما يحدث حقا في الهند، وبصفة خاصة الحركة الساعية لاستقلال الهند التي أغفلها "كيم" تماما[21].

ومن هنا تأتي أهمية القراءة الطباقية وفعاليتها، فالهدف من هذه القراءة هو الكشف عن التفاوت بين التجارب بسبب ما ترتكز إليه من أفكار واعتقادات متعارضة.

يقول "ادوارد سعيد" ما نصه: "إنَّ هدفي التأويلي السياسي (بالمعنى الأوسع للكلمات) من إقحام تجربة إقحاما تجاوريا مع أخرى، وترك التجارب تتبارى وتتصادم إحداها مع الأخريات هو أن أضع الآراء والتجارب المتقاربة عقائديا وثقافيا، والتي تسعى إلى نفي ما يختلف عنها من آراء و تجارب أو قمعها، في سياق من التآين"[22].

انطلاقا من هذا الطرح يقرأ "ادوارد سعيد" "ألبير كامو" و يموضعه طباقيا. و فيما يلي نعرض نقاط منهجية جوهرية تقودنا في تحليلنا و قراءتنا الطباقية بين رواية الغريب لألبير كامو و نجمة لكاتب ياسين.

المجلد: (14) العدد: (03) السنة: 2022 صفحات المقال: 46 – 62 ISSN :9577 - 1112 EISSN : 2602 -5388

5. نقاط منهجية لقراءة كامو طباقيا

يطرح "ادوارد سعيد" في كتابه الأثير: "الثقافة والامبريالية" نقاط منهجية أساسية لمعالجة أعمال كامو و موضعته طباقيا.

5. 1 النقطة المنهجية الأولى[23]:

انطلاقا من مساءلة تقويضية ذكية يسجلها "ادوارد سعيد" عن الإطار المشهدي الجغرافي الذي يختاره "كامو" لأعماله الروائية: "الغريب" (1942)، و "الطاعون" (1974)، والمجموعة القصصية: "المنفى و الملكوت" (1975) حيث يؤوله باعتباره(أقصد الإطار المشهدي) فرنسا تحت الاحتلال النازي، معزّزا رأيه بما طرحه "أوبراين" الذي يرى أنّ اختيارات "كامو" لم تكن بريئة، مثل محاكمة "مرسو" التي اعتبرها تسويغا مستترا أو لا واعيا للحكم الفرنسي أو محاولة عقائدية لتجميله[24].

انطلاقا من هذا التحليل يقترح "ادوارد سعيد" نقطة منهجية تقوم على قراءة "كامو" ضمن منظور تاريخي واسع يطرح فيه استمرارية تاريخية بين "كامو" نفسه فنانا فردا ، و بين الاستعمار الفرنسي وفي هذا الإطار يطرح "ادوارد سعيد" سؤالا جوهريا عن ما إذا كان "كامو" قد أخذ من سرديات فرنسية سابقة و استعمارية.

و من ثم ينطلق المنظور التاريخي أو القراءة التاريخية من "كامو" (1940– 1950) إلى الحضور الفرنسي في الجزائر الذي استمر قرنا من الزمن. هذا المنظور سيُمَكِّننَا فضلا عن فهم شكل سردياته ومعناها العقائدي، فهمَ الدرجة التي يبلغها عمل "كامو" في الإعراب عن طبيعة المشروع الفرنسي في الجزائر.

5. 2 النقطة المنهجية 02[25]:

انطلق "ادوارد سعيد" في هذه النقطة من حيث انتهى في النقطة المنهجية الأولى، حيث عدَّد الأدلة المثبتة لدعواه بأنّ روايات "كامو" تعبِّر عن مشروع فرنسي، فقد افترض "كامو" أنّ المزارع الاستعمارية قابلة للإنقاذ بعد 1960م. و كان هذا خطأ تاريخيا ارتكبه " كامو " لأنّ الفرنسيين تنازلوا عن ملكية الجزائر بعد سنتين. كما أن "كامو" تغاضى عن تاريخ ممارسة السلطة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر (الذي لا يمكن للجزائري أن يتغاضى عنه).

المجلد: (14) العدد: (03) السنة: 2022 صفحات المقال: 46 – 62 ISSN :9577 - 1112 EISSN : 2602 -5388

انطلاقا من هذه الأدلة يرى "ادوارد سعيد":

– ضرورة تقديم **تأويل ترابطي تعادلي لروايات "كامو"** بوصفها تدخلات في تاريخ الجهود الفرنسية في الجزائر لجعل الجزائر فرنسية و الإبقاء عليها فرنسية.

– المقارنة بين احتواء "كامو" للتاريخ الجزائري و افتراضاته حوله، بتواريخ كتبها الجزائريون بعد الاستقلال و ذلك **بهدف اكتساب إحساس أكمل بالنزاع بين القومية الجزائرية والاستعمار الفرنسي.**

5. 3 النقطة المنهجية الثالثة:

معاينة قصص "كامو" كعنصر في الجغرافية السياسية الفرنسية للجزائر[26].

هذه النقاط المنهجية نقاط فذة بحق ، وستقودنا بقوة في قراءتنا الطباقية للنصين المختارين: الغريب لألبير كامو، و نجمة لكاتب ياسين. وبخاصة هذه النقطة الأخيرة.

6. ألبير كامو وتجريد الإنسان العربي الجزائري:

6–1 التجريد من الأسماء.

6–2 التجريد من الجغرافيا.

6–3 التجريد من التاريخ.

6. 1 التجريد من الأسماء:

يؤسس "ألبير كامو" من خلال نصه الروائي: " **الغريب**" لكتابة تُجَرِدُ الإنسان من الأبعاد الوجودية الأساسية اللصيقة به، حيث يبرز أولا فعل تجريد الشخصيات من الأسماء، ففي الحيِّز المكاني الأول تبرز الشخصية الأولى: و هي الممرِّضة العربية دون أن ينسب لها اسم، و دون أن نتبين ملامحها، فقد كانت عيناها ورأسها و حتى أنفها مغطاة بعصابة ، و لم نكن نرى سوى بياض العصابة على وجهها[27]. لقد كانت الممرضة مجردة من اسمها، ومن ملامحها.

وبالمثل لا يذكر "ألبير كامو" اسم العشيقة الموريسكية التي كانت تقيم علاقة مع « Raymond sintès »، والتي كانت أخت العربي الذي قتله السيد "مورسو"، وحتى عندما أشار "مورسو" إلى الرسالة التي كتبها **للعشيقة الموريسكية** بطلب من جاره « Raymond

المجلد: (14) العدد: (03) السنة: 2022 صفحات المقال: 46 – 62 ISSN :9577 - 1112 EISSN : 2602 -5388

« sintès **لم يذكر اسمها** ، بل قال مسجِّلا ملحظا عن أصلها الموريسكي: "عندما أخبرني باسم المرأة، رأيت أنها موريسكية"[28]. ثم إنّ أغلب المساجين الذين التقى بهم في السجن كانوا **عربا دون أسماء**[29]. و تصل عملية التجريد من الاسم إلى أوجها، عندما **يسكت "كامو" حتى عن اسم العربي الذي قتله "مورسو"**.

6. 2 التجريد من الجغرافيا:

امتدت عملية التجريد إلى **الجغرافيا** ، فقد جرَّد "ألبير كامو" الجزائر من المدن الجزائرية ما عدا الجزائر العاصمة، و استبدلها بمدن فرنسية، فأسس **لجغرافية فرنسية** مكتسِحة للمجال الجزائري. فقد طالعنا "ألبير كامو" في بداية الرواية بمدينة "Marengo" –حيث يتواجد الملجأ الذي يؤوي أمه– والتي تبعد 80 كلم من الجزائر العاصمة[30]، و بشارع « faubourg » الذي يطل عليه "مورسو" من شرفته[31]، و شارع « lyon » الذي يتنزه فيه العجوز "Salamono" رفقة كلبه مرتين في اليوم[32].

6. 3 التجريد من التاريخ:

و بالمثل يُجرِّد "ألبير كامو" الجزائر من تاريخها، و بخاصة تاريخها الاستعماري، حيث لا توجد أدنى إشارة للحقبة الاستعمارية التي عاشتها الجزائر، لا سيما أنّ الرواية نشرت سنة 1942م في مرحلة استعمارية متأججة.

و مقابل هذا التجريد من الاسم بالنسبة للشخصيات الجزائرية والجغرافيا والتاريخ ، يعمد "ألبير كامو" إلى ما أسميه **بتعزيز الإنسان الفرنسي**:

7. كامو و تعزيز الإنسان الفرنسي:

7–1/ من خلال التعزيز بالاسم.

7–2/ التعزيز الجغرافي: مكان الفرجة و الإمتاع.

7–3/ التعزيز التاريخي القيمي.

1.7 التعزيز بالإسم:

أ. **السيد "مورسو"**Monsieur Mersault :

المجلد: (14) العدد: (03) السنة: 2022 صفحات المقال: 46 – 62 ISSN :9577 - 1112 EISSN : 2602 -5388

أطلق "ألبير كامو" على الشخصية الرئيسة في الرواية اسم "مورسو"، معزّزا بلقب اجتماعي قيمي يبرز مكانة محترمة لمورسو، فمورسو هو السيد : السيد مورسو في الملجأ، و في العمل، وفي العمارة.

ب . **ماري كاردونا** « Marie Cardonna »:

و عُزِّزَت الشخصية الرئيسة الثانية في العمل ، وهي خليلته Marie بذكر اسمها ولقبها الكامل: « Marie Cardonna ».

ج. ريمون سانتاس:Raymond sintès :

و بالمثل عُزِّزَت شخصية Raymond جاره أيضا بذكر اسمه و لقبه الكامل: Raymond **sintès.**

د. توماس بريز: Thomas Perez :

و صديق والدته Thomas Perez، بذكر اسمه ولقبه أيضا ، بينما عُزِّزت شخصية Celeste و Pierrot بذكر ممتلكاتهما، ف« Celeste » عرف بأنّه صاحب المطعم، وبيارو صاحب المقهى.

7. 2 التعزيز الجغرافي: مكان الفرجة و الإمتاع:

إلى جانب التعزيز بالاسم يعزّز "ألبير كامو" المكان ويعبِّئه بمحتوى إمتاعي، حيث يبرز مكانا للمتعة والفرجة. فالريف مكان للمتعة وللتجوّل لدى مورسو لولا ما ينغصه عليه وجود أمه.

يقول "مورسو": "مضى وقت طويل لذهابي للريف، و كنت أحس بالمتعة التي كان يمكن أن أحظى بها من التجوال لولا وجود أمي"[33]. ثمَّ إنَّ الجزائر العاصمة مكان للحظوة بجملة من المتع (في عطلة نهاية الأسبوع) كالذهاب إلى السباحة ، و السينما ، و مطعم Celeste[34].

وعلى بعد بضع كيلومترات من العاصمة مشهد البحر مع "ماري" ، الذي يعزز أيضا بتفاصيل بصرية للهندام الذي تلبسه "ماري": الفستان ذو الخطوط البيضاء والحمراء ، والصنادل الجلدية، و متعة اللعب في البحر[35].

و يتكرر مشهد البحر حيث يدعو "Raymond" السيد "مورسو" رفقة "ماري" للذهاب إلى البحر، حيث يملك صديق "Raymond" السيد Masson منزلا صيفيا ، والذي يتعزز أيضا بعناصر بصرية لطريقة الهندام: هندام ماري ذات الفستان الأبيض و الحقيبة[36].

المجلد: (14) العدد: (03) السنة: 2022 صفحات المقال: 46 – 62 ISSN :9577 - 1112 EISSN : 2602 -5388

و لقد عبأ مشهد الشرفة المطلة على شارع "Faubourg" عناصر المتعة والفرجة بامتياز، حيث أمعن "ألبير كامو" في وصف الشارع الذي يجمع العائلات التي تتنزه ، و اللاعبين والمتفرجين الخارجين من السينما، و عززت العناصر البصرية بمشهد الأطفال المهندمين، بل البارعين في التهندم ، من الطفلين ببدلتي البحارة، إلى الطفلة ذات الرباط بعقدة كبيرة وردية وأحذية سوداء ملمعة، إلى الأم الضخمة بفستان السهرة البني[37].

ثمَّ إن "كامو" يجعل **التنزه طقسا يوميا** يمارسه العجوز Salamono بانتظام في شارع ليون في الساعة السادسة و الحادية عشر[38].

7. 3 التعزيز القيمي:

قدَّم "ألبير كامو" من خلال نصه صورة مجتمع فرنسي متمتع بالسيادة، مجتمع قيمي إيماني، حيث أنكر على مورسو إهماله لأمه، ووضعها في ملجأ، وعدم إظهار أي حزن على موتها.

8. كاتب ياسين وتعزيز الإنسان الجزائري وتجذيره تاريخا وجغرافية

مقابل عملية التجريد الواسعة التي طالت الإنسان الجزائري بأبعاده الحيوية: الاسم/ الجغرافيا/ التاريخ، عمد "كاتب ياسين" في رواية "نجمة" إلى صياغة جديدة تماما للإنسان الجزائري في عملية تعزيز و تجذر تاريخي وجغرافي.

8. 1 التعزيز بالاسم:

تطالعنا رواية "**نجمة**" لكاتب ياسين في أول صفحاتها باسم شاب جزائري هو **لخضر**، وتتوالى قائمة الأسماء الجزائرية الشبانية من الصفحات الأولى ، حيث يُبرِز كاتب ياسين أربعة أسماء لشبان جزائريين في الصفحتين الأولى و الثانية للرواية : لخضر، مراد، رشيد، مصطفى. ثم إنه يعمد إلى التعريف بأسماء آبائهم و أمهاتهم بل و أجدادهم، بل إنه يصل إلى ذكر والد جد مراد الذي حارب تحت لواء عبد القادر[39].

وعلى الرغم من أنَّ "كاتب ياسين" يذكر أسماء فرنسية مثل: السيد "ريكارد"، والسيد "أرنست"، والآنسة "دوباك"، و"ألبير جيوفاني" ، و "مونيك" ، و" لويجي الإيطالي"، إلاَّ أنَّ حضورها لا يعدو بضع صفحات، بينما **تهيمن الأسماء الجزائرية الشبانية الأربعة على امتداد الرواية.**

المجلد: (14) العدد: (03) السنة: 2022 صفحات المقال: 46 – 62 ISSN :9577 - 1112 EISSN : 2602 -5388

8 .2 التجذير الجغرافي و التاريخي:

مقابل الغياب التام للمدن الجزائرية في رواية "الغريب" لألبير كامو، يعمد "كاتب ياسين" إلى عملية تجذر جغرافي وتاريخي للمدن الجزائرية، وخاصة مدينتي قسنطينة وعنابة وقبيلة كبلوت.

أ. **قسنطينة**[40]:

تبدأ نقطة التجذر الأولى بعودة "كاتب ياسين" إلى الاسم الذي يطلقه السكان على **قسنطينة: الدهماء** ، ثم يمضي مفصلا جغرافيتها المرتبطة بخصائص يعينها:

1. **الارتفاع:** فهي مرتفعة تشرف على الهضاب العليا المغطاة بالغابات.
2. **الفخامة:** فهي مشيَّدة في موقع فخم.
3. **العظمة:** ففيها صخر عظيم الذي يبعجه السيل ثلاث مرات.

ثمَّ إنّ "كاتب ياسين" يُجذِّر قسنطينة تاريخيا بالعودة إلى تاريخ مقاومتها من "لامور يسير" (زمن الأتراك)، حيث يتكرر تاريخ بعينه: 10 سنوات من الحصار زمن الأتراك، ثم **انتقامات 8 ماي عشر سنين بعد ابن باديس** ومؤتمر العلماء المسلمين، ليصل إلى التاريخ الآني الشخصي لرشيد : عشر سنوات بعد عزله و اغتيال والده[41].

ب. الكبلوت:

يؤسس "كاتب ياسين" لعلاقة متينة بين رشيد و سي مختار بإرجاعها إلى قبيلة واحدة: **قبيلة كبلوت.** هذه القبيلة التي يتقصى جذورها وأصولها المعجمية، ومؤسسها الأول ، و يتتبع مسارها التاريخي إلى أن يصل إلى دخول الفرنسيين واستئصال القبيلة ، و تشتت كبلوت في كل الجهات[42].

إنَّ "كاتب ياسين" يعيد للمدن الجزائرية تاريخها وجذورها ومشهدها الجغرافي الكثيف، ثمَّ يكشف كيف استولى الاستعمار الفرنسي على هذا المشهد وهدمه. وكأنه يرد ضمنيا على "ألبير كامو": **هذه مدننا التاريخية التي استوليتم عليها و بترتم تاريخها.**

المجلد: (14) العدد: (03) السنة: 2022 صفحات المقال: 46 – 62 ISSN :9577 - 1112 EISSN : 2602 -5388

9. الاستنتاج:

نستنتج مما سبق أن القراءة الطباقية المعتمِدة على المقابلة بين أدبين وثقافتين ، تتمتع بإجرائية عالية ، ذلك أننا نقرأ – من خلالها – الأعمال الأدبية في سياقات أوسع ، تكشف المضمرات ، وترد عليها بأسلوب يقترب إلى الصريح .

إن " كاتب ياسين " يكشف لنا مضمرات " كامو " ويردُّ عليها ، يكشف سعي " كامو " إلى تجريد الإنسان الجزائري من أبعاده الوجودية ، ويردُّ عليها بتجذير قوي للذات الجزائرية في تاريخها ، وجغرافيتها .

كما أن القراءة الطباقية تقرأ الجانب الإيديولوجي من خلال الجانب الفني ، وتؤكد اندماجهما في مقولة: الثقافة/الامبريالية كما بيّن "ادوارد سعيد" في كتابه الألمعي: " الثقافة والامبريالية "

10. الخاتمة:

طرح هذا المقال خطوطا عريضة للمقابلة بين طرحين متضادين ينتميان لمنظومتين متشابكتين ضمن الثنائية: مستعمِر ومستعمَر. حيث ينخرط السرد في المنظومة الفكرية معزِّزا وجودها واستمرارها.

ولإجراء هذه المقابلة عمدنا في البداية إلى تسويغ اختيارنا للمدونة، ثم أتينا إلى مفهوم: "القراءة الطباقية" حيث شرحناه، وموضعناه ضمن نسقه المفاهيمي، ثم عمدنا إلى بعض النقاط المنهجية في قراءة كامو، لنستفيد منها في تحليل متنه الروائي، مستقصين عملية التجريد الواسعة والعميقة التي قام بها كامو في الغريب للإنسان الجزائري من أبعاده الوجودية، والتاريخية، والجغرافية، مقابل التعزيز العميق للوجود الفرنسي في الجزائر، ويطابق ذلك مطابقة ندية تعزيز " كاتب ياسين " للوجود الجزائري ، وتجذيره قيميا وتاريخيا وجغرافيا .

وقد خلص بحثنا إلى جملة من النتائج :

– اضطلع مفهوم القراءة الطباقية الذي طرحه " ادوارد سعيد" بدور منهجي وإجرائي دقيق، إذ قدم منظورا جديدا وحيويا لقراءة الرواية ضمن فضاءات لا تنغلق على الحقل الأدبي، بل

المجلد: (14) العدد: (03) السنة: 2022 صفحات المقال: 46 – 62 ISSN :9577 - 1112 EISSN : 2602 -5388

تنفتح على التاريخ والجغرافيا، بعبارة أشمل: تقرأ الرواية قراءة ثقافية، وتسمح هذه القراءة الثقافية بالولوج إلى مسارات جديدة للممارسة النقدية، يندغم فيها البعد الجمالي والإيديولوجي.

– يرسم منهج القراءة الطباقية خطوطا جديدة للقراءة الفنية، حيث تلبس الأعمال والكُتّاب بلبوس جديد .

إن كامو يُقرأ هنا، ويُرسم بملامح جديدة، ملامح كاتب ألمعي، يوظف الفني في خدمة الإيديولوجي، يبني ويعزز الامبريالية سردا. ويُقرأ كاتب ياسين كاتبا ألمعيا يرد ويقاوم، ويعزّز نقد المنظومة الاستعمارية.

11. الهوامش:

[1]– سعيد ادوارد: الثقافة والامبريالية، تر: كمال أبو ديب، 2004، ط 03، بيروت، دار الآداب، ص232.

[2]– نفسه ، ص232.

[3]– نفسه، ص 232.

[4]– نفسه، ص 20.

[5]– **للإشارة كمال أبو ديب : مترجم كتاب " الثقافة والامبريالية " ل " ادوارد سعيد .**

[6]– نفسه ، ص 118.

[7]– نفسه ، ص ن.

[8]– نفسه، ص 118.

[9]– نفسه، ص 83.

[10]– نفسه ، ص 125.

[11]– نفسه ، ص 125.

[12]– سعيد ادوارد : السلطة و السياسة و الثقافة ، حوارات مع ادوارد سعيد، تقديم: غاوري قسواناثان. ترجمة: د. نائلة قلقيلي حمازي، 2008 ، ط01، بيروت ، دار الآداب، ص 104.

[13]– سعيد ادوارد : الثقافة والامبريالية، ص 84، نقلا عن

[14]– **الاندغام : التداخل والتمازج .**

[15]– نفسه ، ص 139.

[16]– نفسه ، ص 138.

[17]– نفسه ، ص 85.

المجلد: (14) العدد: (03) السنة: 2022 صفحات المقال: 46 – 62 ISSN :9577 - 1112 EISSN : 2602 -5388

[18]– سعيد ادوارد : السلطة و السياسة و الثقافة، ص 82

[19]– سعيد ادوارد : الثقافة و الامبريالية، ص 98.

[20]– سعيد ادوارد : الاستشراق، المعرفة ، السلطة ، الإنشاء، تر: كمال أبو ديب ، 1981، ط01، بيروت ، مؤسسة الأبحاث العربية ، ص 50.

[21]– ينظر سعيد ادوارد : الثقافة والامبريالية ، ص 101– 102.

[22]– نفسه ، ص 102.

[23] – ينظر سعيد ادوارد : الثقافة والامبريالية ، ص 235.

[24]– نفسه ، ص 235.

[25]– نفسه ، ص 235.

[26]– نفسه ، ص 236.

25– Camus Albert, L’étranger, 1942, Paris , Edition Gallimard , p15 .

[28]– Ibid ,p52

[29]– ibid, p112 ; p113 , p211

[30]– Ibid ; p09

[31]– ibid, p35

[32]– ibid ; p43-44

[33]– ibid ; p22

[34]–ibid, p32-34

[35]– ibid , p57

[36]– ibid, p75

[37]– ibid ; p35-37

[38]– ibid ; p43

[39]– كاتب ياسين: نجمة، تر: السعيد بوطاجين، 2014، ط01، الجزائر، منشورات ضفاف، منشورات الاختلاف ، ص82.

[40]– نفسه ، ص 159.

[41]– نفسه ، ص 159– 160.

[42]– نفسه ، ص 131– 132.

المجلد: (14) العدد: (03) السنة: 2022 صفحات المقال: 46 – 62 ISSN :9577 - 1112 EISSN : 2602 -5388

12. قائمة المراجع :

المراجع باللغة العربية :

سعيد ادوارد: الاستشراق، المعرفة، السلطة، الإنشاء، تر: كمال أبو ديب، 1981، ط01، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية.

سعيد ادوارد: الثقافة والامبريالية، تر: كمال أبو ديب، 2004، ط 03، بيروت، دار الآداب.

سعيد ادوارد: السلطة والسياسة والثقافة، حوارات مع ادوارد سعيد، تقديم: غاوري قسواناثان. ترجمة: د. نائلة قلقيلي حجازي، 2008 ، ط01، بيروت، دار الآداب.

كاتب ياسين: نجمة، تر: السعيد بوطاجين، 2014، ط01، الجزائر، منشورات ضفاف منشورات الاختلاف.

المراجع باللغة الأجنبية:

Camus Albert, L’étranger, 1942, Paris , Edition Gallimard .